د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

الحج يبني القِيَم

مدرسة في تعليم الأفكار والمفاهيم وبناء القيم وتشكيل السلوك




الحج
يبني القِيَم



الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

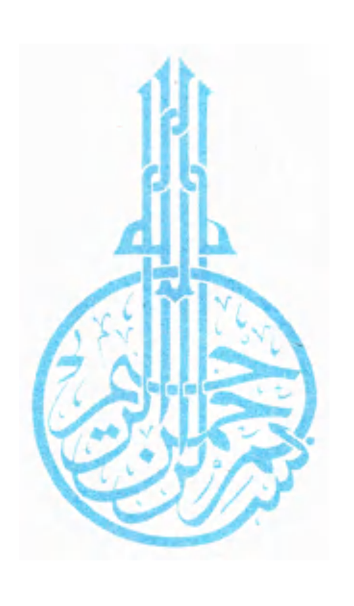
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



مدرسة في تعليم الأفكار والمفاهيم
وبناء القيم وتشكيل السلوك





المقدمة

الحمد للّٰه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- كل عبادة يُراد لها أن تُحيي قلب صاحبها، ويجد فيها روحه ومشاعره، ويخوض بها ومن خلالها غمار الحياة، فلا بدَّ أن يفقه مقاصدها الكبرى، ويعي الحِكَم التي شُرعت من أجلها، وإلَّا صارت صوراً وأشكالاً تُجهد جسد صاحبها، ولا تصنع شيئاً في قلبه وروحه مع الأيام.

- وما حاجة حُجَّاج بيت اللّٰه تعالى إلى شيء كحاجتهم إلى فقه هذه المقاصد والغايات الكبرى، وكم من حاجٍّ دفع أموالاً ضخمة، وترك دياره وربوعه، وخلّف أهله، واستقبل هذه المشاعر المباركة، وقد لا يتحقَّق له في النهاية شيء.



• وإن من المؤلم أن يأتي الإنسان إلى هذه العبادة التي هي مرة واحدة في عمره، وهو لا يفقه أحكامها الشرعية، فضلاً أن يفقه الأهداف والغايات التي جاءت من أجلها، ويُراد لها أن تأخذ حظها الكبير من نفسه وواقعه في نهاياتها.

• وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب مساهمةً في رسم خارطة الطريق التي يجب ألَّا يجاوزها حاجٌّ، وإني لأزعم - إن شاء الله تعالى - أنَّه إنْ أخذ حظه من فكر صاحبه، ومنحه فكره وقلبه ومشاعره، أنه واردٌ به الحياة.

والله الموفق، ومنه العون والحول والطول، إنه على كل شيءٍ قدير.

المؤلف

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

بلاد الحرمين، محافظة القنفذة، حلي





١

إجلال شعائر الله تعالى

- **يعلِّمك الحجُّ التربيةَ على الاستســـلام لله تعالى، والخضوع لأوامره، وتعظيم شعائره، وإجلال ما جاء في كتابه تعالى، وسنة نبيِّه ﷺ ..**

تأمل وأنت تنزع ثيابــك، وتتخلى عن زينتك، وتخلع ما يســترك عند الإحرام، وتترك الطيــب والزينة، وكل ذلك طواعية لله تعالى.

تخيَّل حاجّاً ينزع ثيابه عند الإحــرام، وينزع معها في الوقت ذاته شــهواته ومراداته.. يتجرَّد من لباسه، ويتخلَّى عن زينته، ويبقى شــبه عارٍ، حاسرَ الرأسِ زمن الحج كله، لا لشيءٍ إلَّا تعظيماً لشعائر الله تعالى، واستسلاماً لحكمه، وإجلالاً لدينه ومنهجه، ومثل هذا المعنى لا يمكن لحرفٍ مهما بلغ أن يصوّر مباهجه وعمقه في حياة صاحبه!.

يعاني من رهــق الحج وجهده، ويتعــرض لمواقف تهزُّ مشاعره، ويتقلب مرات في ظروف تجبره على الحديث، وكل



هذه الأحداث لا تستطيع أن تستفزه، أو تخرجه عن طوره، أو تبعثر حجه؛ لأنه كلّما دعته نفسه للانتصار تذكَّر قول ربه تعالــى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].. فلاذَ بالصبر، وأقبل يبحث عن واقع هذا المعنى الكبير من جديد.

- يأتي مشــاعر الحج، ويلتزم بمنهج الله تعالى وسُنَّة رســوله ﷺ، فيتنقَّل فيها بناءً على السُّنَّة، لا يخالف منها في شــيء، وتجده يتحرّج من أدنى الأخطاء، ويسأل في كل عارض، وهذه المعاني هي أعظم مقاصد الحج وأجلها في حياة كل إنسان!.

إن هذه المشــاهد التي تتجلى في حياة الحاج، وتبرز في سيرته، وتتضح في سلوكه في هذه المشاعر، يجب أن تمتدَّ في حياته كلها، فليس من اللائق أن تجد حاجّاً يؤلمه ويقلقه أنه أنقص حصاةً في الرمي، أو أُحْصِرَ عن المبيت في مزدلفة، ويجد حرجاً في استعمال الشامبو والصابون لمجرد ريحه، ويخشى أنه من المحظورات الممنوعات.. وتجده في الوقت ذاته قد حجَّ بمالٍ حرامٍ، من ربا أو غيره، أو حجَّ وهو عاقٌّ لوالديه، أو مغاضبٌ لزوجه، أو هاجرٌ لأخيه، أو مدمنٌ لمحرَّمٍ من المحرمات، أو تراه في المشاعر ذاتها وهو يعاقر سيجارة، ومصرٌّ على عادة محرمة وهو في المشاعر ذاتها.



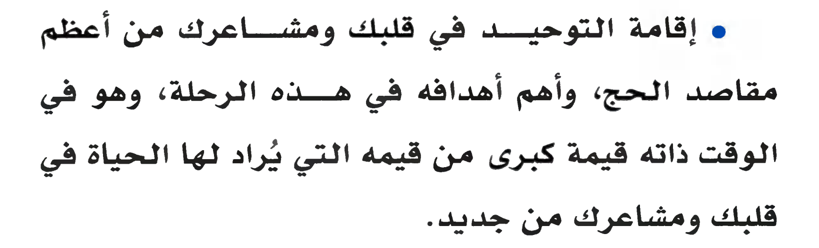
كما أن إجلال اللّٰه تعالى، وإجلال شعائره، أوجب عليه كثرة السؤال، والقلق والحرص على عبادته؛ **فينبغي أن يقلقه بالمعنى ذاته أو أكبر مقارفة هذه المنكرات؛ لأن الذي نهى عنها هو الذي فرض عليه الحج، وأمره بما فيه لا فرق**، وفيها من قوارع النصوص ما لا يخفاه.

إن من فقه هذا المعنى في الحج أن يجري الحاج سيرته بعد الحج على الاستسلام للّٰه تعالى، والخضوع لأوامره، وإجلال شريعته، وتعظيم حكمه، وألَّا يبرح مراد اللّٰه تعالى في شيء، ويعود إلى بيته وقد امتلأ قلبه من إجلال اللّٰه تعالى، وإجلال شعائره؛ فيتخلّص من كل عادةٍ محرَّمة، وكل سلوك يعارض شريعته، وكل فعل يتعارض مع نصٍّ من كتابه تعالى، أو من سُنَّة رسوله ﷺ قدر وسعه، ويعلم في الوقت ذاته أن في هذه المعاني من الحياة والبهجة والسرور والسعادة فوق ما يتصوّر، وأعظم مما يتخيّل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤].





التوحيد



• **إقامة التوحيد في قلبك ومشاعرك من أعظم مقاصد الحج، وأهم أهدافه في هذه الرحلة، وهو في الوقت ذاته قيمة كبرى من قيمه التي يُراد لها الحياة في قلبك ومشاعرك من جديد.**

من مظاهر التوحيد ومشاهده في واقعك ما أشرنا إليه من الاستسلام لربك، وإجلال شرائعه، وتقديس أوامره، فلا يفعل ذلك في العادة إلَّا موحِّدٌ، مجلٌّ لربه، معظِّمٌ لشريعته، متخلٍّ عن حوله وقوته، وعن كلِّ ما حوله من المخلوقين.

• إن هذه **التلبية** التي تخرج من فمك، وتصدح بها في العالمين، وتجلجل بها في طريقك، وتملأ بها فجاج الأرض، من أعظم الدلائل على توحيدك لربك: (**لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**)..



إنك تعلن للعالمين من حولك أنك عبدٌ من عبيد الله تعالى، لا تنفك عن منهجه، ولا تبرح عن شريعته، وتشرف بها للدرجة التي تعلنها على الملأ، وتفخر بها في العالمين: (**لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك**) إني مجيبك إجابة بعد إجابة، مطيع لك، قائم بأمرك، ممتثل لمنهجك، لا شريك لك في ذلك من أحدٍ من المخلوقين.

- **يعلِّمك الحجُّ: أن أمرك بيد ربك وخالقك، وشأنك بيد مصرِّف الأمور**، ويدلُّك على هذا المعنى من خلال هذه المشاهد التي تملأ قلبك في مشاعر الله تعالى ومقدَّساته، ألا تراه كيف سنَّ لك التخلي عن كل شيء في إحرامك، وعلَّمك هذه التلبية التي يتوافق فيها لسانك مع حال قلبك وجسدك.

- **كم هي مواطن الدعاء في الحج التي تتعلّم فيها أنه لا مجيبَ لدعائك، ولا شافٍ لمرضك، ولا محقِّق لغرضك، ولا مجيب لسؤالك سوى الله!** للدرجة التي يرشدك نبيُّك ﷺ أنَّ خيرَ الدعاء دعاءُ يوم عرفة الذي يرغب فيه الإنسان إلى ربه، ويكون أحوج ما يكون إليه ما قال هو والنبيون من قبله: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير**).. الدعاء الذي يعلِّمك التوحيد، ويدلُّك عليه، ويربي فيك أن الله تعالى هو مقصودك في كل شيء!.



ماذا لو تخيَّلت مســاء عرفة وأنت تجــأر بهذا الدعاء، وتردده، وتلهج به في ليلتك، وكأنك تقول: يا رب أنت الذي تخلق وترزق، تُحيي وتُميت، تشفي وتُمْرِض، تعطي وتمنع، أنت الذي تهب العافية، وأنت الذي تعطي عبدك ما يشاء، أنت كل شيء، ونحن عبادك الفقراء المحاويج.

- **التوحيد ألّا يبقى في قلبك شــيء لمخلوق**، وأن تتخلّص من مــراءاة المخلوقيــن، والرغبة فــي ثنائهم، ومدحهم، وألا تمنحهم شيئاً من قلبك خوفاً أو رجاءً!.

- **التوحيد أن تتيقَّن أن كل شيء بيد الله تعالى**، وأن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق الســموات والأرض بخمســين ألــف سنة، وأن ما أصابــك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما جرى به القلم سيجري في واقعك ولو بعد حين.

- **تعلّق بربك، والجأ إلى مقامه بتعظيمه وتقديسه وإجلاله، واجعل توحيده أصلاً في قلبك، وسَــلْه بعد ذلك كلَّ شــيء، وتيقَّن في المقابل أنه ســيجري لك وعليك كل شيء.**





٣

تعظيم النَّصِّ الشرعي

• **يعلمك الحج تعظيم النَّصِّ الشرعي، وأنه أصل في كل شيء من حياتك، ويدلك أن تجعله القائد لك في كل شيء..**

- ما الذي جعلك تنزع ثيابك عند الإحرام؟ وتلبس هذا الرداء والإزار، وتُبقي رأسك مكشوفاً حتى يوم العيد؟..

- ما الذي جعلك تبيت في منى يوم الثامن، وتبقى يوم التاسع في عرفة، وليلة العاشــر في مزدلفة، وتتحرك في المناسك بميزان لا يختل في تلك المشاعر حتى تعود؟..

- ما الذي جعلك ترمي كل جمرة بسبع حصيات فقط؟ لم يحدث أن رميت تلك الجمار بست أو ثمانٍ، بل إذا زدت واحدة أو أنقصت أخرى قلقْتَ، وأخذت تبحث عن من يفتيك بصحة حجِّك!..

- لمــاذا تبقى فــي منــى لا تخــرج منها طيلــة أيام التشريق؟..



كل هذا لأن رسولك ﷺ فعل ذلك وقال: «**خذوا عني مناسككم**»..

• **ماذا لو أنك خرجت من مدرسة الحج و قد تعلمت أنك عبد لله تعالى لا تتحرك إلا وفق النص الشرعي:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].. ليس في الحج فحسب، وإنما في شأنك كله.

كان صحابة رسولك ﷺ يرقبون فعله، ويصنعون ما صنع، ولا يتخطّون ذلك في شيء.

وفي الصحيحين: قال ابن عمر رضي الله عنهما: لم أرَ النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين، وما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء، منذ رأيت النبي ﷺ يستلمهما.

وكان عمر رضي الله عنه يُقبِّلُ الحجر الأسود ويقول: والله إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك..

ومن حسن فقهك وفهمك أن تُجري هذا المعنى في واقعك، لا تتخلّف عن ذلك في شيء.

• **من فقه مدرسة الحج أن تعود من هذه المشاعر وأنت تعظّم الدليل، وتجلُّ الوحي،** وإذا سمعت: قال الله



تعالى، وقال رسول الله ﷺ: فارْخِ لها سمعك، وقم بأثقالها وأحمالها، وأنت تجد لها الحياة في قلبك ومشاعرك.

وكن على فقه ابن عمر حين سأله رجل عن استلام الحجر، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. فقال له الرجل: أرأيت إن زُحمت؟ أرأيت إن غُلبت؟ قال: اجعل (أرأيت) باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

• **ومن كمال عقلك: أن تدركَ أَنَّ ثمَّة هجمة منظمة على ترقيق الوحي في قلبك ومشاعرك..**

ولعلك كثيراً ما تسمع: في المسألة خلاف، وفيها قولان، وأفتى فيها فلان، وهي على الكراهة.. وكل ذلك حتى يذبل النص في قلبك، ويرقَّ في مشاعرك، وتستهين به في مستقبلك، ولا يكون ذا شأن في واقعك.. فتنبه لذلك، وليكن أول سؤالك: ماذا قال الله تعالى؟ وماذا قال رسوله ﷺ؟ لأنها هي التي سيدار عليها سؤال الله تعالى يوم القيامة: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]؟ ولا تلتفت لدعاوى البطالين والمفتونين مهما كان أثرها في واقعك.





الانضبــاط

• **يعلِّمك الحج الانضبــاط في حياتك، ويؤهِّلك لأن تكون فرداً صالحاً للحياة، فيما بقي من عمرك.**

تبدأ قصة هذا المعنى من قول اللّه تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].. فيُحرّم عليك كل ما يتعلق بالنســاء من أنواع الرفث؛ حديثاً بلســانك، أو تصرُّفاً بجوارحك.. حتى تتحلل من إحرامك.

ويمنعك من عمــوم المعاصي، ويحــذّرك من الجدال، مهما كانت دواعي الخلاف التي تواجهك في الحج.

وإذا أردت أن تعرف عمق هذا المعنى، فتخيّل حاجّاً مع زوجه في المشاعر المقدسة، تموت مشاعر الشهوات فيما بينهما إجــلالاً للّه تعالــى؛ وحاجّــاً يتعرَّض لــكل دواعي الخصام والنزاع واللجاج، ويســتعلي عنها كلهــا، تعظيماً لشعائر اللّه تعالى!.



• **ومن صور الانضباط التي يعلِّمك إياها الحج: أَنْ لا تتخلّف عن موعدك في المكان المحدد..**

- فيوم الثامن في منى، والتاسع في عرفة، وليلة العاشر في جَمْع، وأيام التشريق في منى..

ويبيّن لك أنك لــو تخلَّفت عن عرفة فحجُّك باطل، ولا قيمة لــكل ما صنعت في تلك المشــاعر، ولــو تخلَّفت عن المبيت بمزدلفة فيلزمك دم، ولا تخرج من مكة إلَّا بوداع..

كل هــذا من بــاب التدريــب والتأهيل علــى انضباط الإنسان في قادم أيامه، وتقديسه لمواعيده، واعتبار ذلك ديناً يتعبد به لربه تعالى في كل حين.

- يؤهِّلك على هذا المعنى للدرجة التي يعلِّمك أن ترمي بســبع حصيات فقط، والزيادة في عــدد الحصى كالنقص منها، لا فرق..

ويعلِّمك أن زمن الرمي محــدود، ومكانه كذلك؛ فليس لك أن تتجاوز الزمن، ولا أن تختار مكاناً غير المكان الذي حددته الشريعة وقررته لك..

- وتقضي خمسة أيام أو ســتة لا تتحرك فيها إلا بأمر الشارع، ولا تصنع شيئاً إلا من خلال منهجه وسنته.



إن هذه الأيام كفيلة بأن ترسّـخ لديـك هذا المفهوم، وتجعله أصلاً في حياتك، لا يختل في قادم أيامك؛ فتنضبط في صلاتك، وتجلّ مواعيدها، وتحتفي بالأذان للدرجة التي يقيمك من مكانك، ويوقف اجتماعك، وتوقف ما بين يديك، احتفاءً بهذا الشأن وإجلالاً له!..

ويجري هـذا المعنى في مواعيدك التـي تلتزم بها مع غيرك، فـإذا أبرمت وعداً أو موعداً مـع غيرك، فلا تخرم وعداً، ولا تأتي متخلّفاً في مشـهد من مشاهد هذه العبادة الكبرى في واقعك.

- **إن من الغبـن أن نلتزم في الحج بهـذا المعنى، ونتحرّج في التخلُّف عن بعض معانيه، ثم نعود لوظائفنا، ونأتي في مؤخرة الحاضرين كل يوم، ومن المتأخرين في صفوف الصلاة، وآخر الركب في كل مناسبة، وكأن ذلك المعنـى الكبير فـي الحج مجرد صـور، لا علاقة لها بالحقائق التي نعيشها في الواقع كل يوم.**









٥
الهدف

• **يربّي فيك الحجُّ عظمةَ الهـدف، وأثرَه الكبير في تحقيق أحلامك وأمانيك..**

ترى ذلك في حديث القرآن عن الهدف، قال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]..

يذكّرك بأن بلوغك لغاياتك لا يأتي من خلال أوقات فارغة من الغايات والأهداف، وأن من أراد بلوغ مقاصد الحج الكبرى، فعليه أن يرابط على تحقيق تلك الأهداف التي اشترطتها الشريعة، لتحقيق القبول الشرعي لتلك العبادات.

وفي سُنَّة نبيِّك ﷺ: «**من حجَّ هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه**».

ومفهوم الحديث: أن من لم ينضبط في تحقيق ذلك الهدف، لم تتحقق له تلك الأماني التي ينتظرها من حجه.



• **الحياة الناهضة هي تلك التي تجري وفق الأهداف،** وعظمة الإنسان وقفٌ على هذا المعنى الكبير، وإذا خلا يومك من هدف، فقد خلا عمرك من الحياة!..

تخيّل لو أنك استيقظت في فجرك، ولم تجد هدفاً يدفع بك للحياة! وجاء الضحى، ولم تجد عملاً يستحق البهجة، وحان موعد المساء، ولم تجد حافزاً للعمل، وآن موعد النوم، وعُدْتَ إلى فراشك، وقد أمضّك الفراغ، وجلدتك الهوامش، وتصحَّرت مشاعرك للدرجة التي غابت عنها معالم البهجة، وطاردها اليأس والتشاؤم، فلا جديد يستحق الفرح، ولا موعد ينتظر الحياة!..

- تخيّل حاجّاً وهو يرقب هذا الهدف الكبير: «**من حجَّ هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه**»، فتجده يتحرَّج من كل كلمة، ويتعفف عن كل تصرف، ويتحاشى الحديث حتى مع زوجه، رغبة في تحقيق هذا الهدف الضخم..

- وآخر يحج، ويغيب عنه هذا الهدف، فتجده لا يتحرج من أي كلمة، ويخوض بلسانه في أعراض إخوانه المسلمين، ولا يجد أدنى حرج، ويفتح عينه لشعاب الشهوات في كل وادٍ، ولا يكاد يرعوي عن كل تصرف، وحج في الصورة

والظاهـر، وعاد من الحـج، وبورك له بحجـه، ولكنه في الحقيقة قد لا يكتب له شيء.

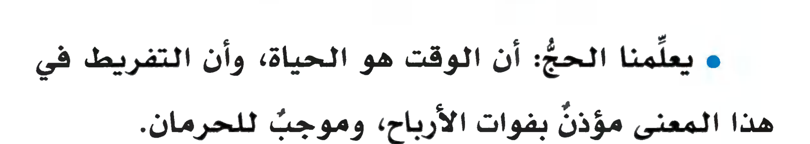
- وثالثاً حج ودفع أمـوالاً باهظة، وغاب عنه في الوقت ذاته ذلك الهدف، الذي أشـار الله تعالى إليه في كتابه: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] فقضى حجه كله في الخصام والجدال، بـل ربما أفضى بـه ذلك الخصـام والجدال إلـى تخوين المسلمين، وإسـاءة الظن بهم، وعاد في النهاية مع قوافل الحجيج، وزِيْرَ مِـنَ المهنئين والمباركيـن، وقد يكون من المحرومين، وربما عاد بأثقال وأوزار.

• **يؤهلك الحج أن تعود مدركاً لعظمة الهدف، مدركاً لأثره، مشبعاً بأحداثه في واقعك، فتبدأ قصته،** وتقرر ألا تبدأ عامك الجديد إلا بأهداف في أدوارك السـبعة كلها: الإيمانية، والعملية، والأسـرية، والاجتماعيـة، والصحية، والمالية، ثم مشـروعك الشـخصي، وقضيتك التي تقرر العيش لها ومن أجلها في الحياة.





الـوقــت



• **يعلِّمنا الحجُّ: أن الوقت هو الحياة، وأن التفريط في هذا المعنى مؤذنٌ بفوات الأرباح، وموجبٌ للحرمان.**

- فعقد الإحرام بحجّك له وقت محدد، وهو أشهر الحج؛ فلو أن الإنسان فرط في هذا الوقت، وتشاغل عنه، ولم يحرم بحجّه في هذا الوقت فلا عبرة بحجّه.

- وقد قال نبيك ﷺ : «**الحج عرفة**»؛ فمن لم يشهد هذا اليوم، ولو لحظة منه فقد فاته، ولو صنع في حجه كل شيء!.

- والمتخلّف عن المبيـت بمزدلفة بدون عـذر عليه دم، ومثله كل الواجبات الأخرى في مشاعر الحج.

• **يؤهِّلك الحجُّ على تعظيم الوقت وإجلاله**، ويبيّن لك أن كل مشعر من المشاعر المقدسة له وقت بداية ونهاية، في وقتٍ سُنَّة، وفي آخر يجوز، وفي ثالثٍ بدعةٌ ومنكر، وفي رابعٍ لا يجوز.. كل هذا ليخلق في قلبك الحياة، وليبني في



نفســك تعظيم هذه القيمة وإجلالها، والقيــام بحظوظها الكبرى فيما يأتي من زمانك وأيامك.

- لو أنك ألقيــت ببصرك لتلك الجمــوع المنتظرة في رحاب عرفة قبل غروب الشمس بلحظات، وكلهم يُجلّون هذا المعنى للدرجة التي ما بين بعضهم وبين حدِّ عرفة ســوى خطوة واحدة، ومع ذلك لا يمكــن أن يجاوزها قبل غروب الشــمس، مهما كانت حاله وظروفه التي يعيشها.. ولو لم يكن في الحج كله إلا هذه الصــورة التي يُجلُّ فيها الوقتَ، ويقدّسه لكان درساً عمليّاً، يكفي عن ألف موعظةٍ ودرس!..

- رأيت بعض الحجاج يقدّس زمــن الخروج من منى يوم التاسع، ويحرص على السُّنَّة، ولا يريد أن يخرج منه إلا ضحى.

- وآخر يرفض الترخّص فــي الخروج من مزدلفة إلا بعــد الفجر؛ لأن هــذا الزمن رُبطت به سُــنّة، وقدّســته الشــريعة، وجعلته مناطــاً لإجلال حكم مــن أحكام اللّٰه تعالى.

- وثالثاً ينتهي حجه، ويعود إلى بيته، وهو يجد حرجاً لأنــه فاته وقت فضيلة لــم يجله، وتخلّف عــن وقت كان بحاجة إلى تقديس!..

• إن هذا الدرس الضخم يجب أن يسري في حياتنا كلها، ويتحوّل إلى سلوكٍ عمليٍّ في سيرة كل واحد منا، ويصبح خُلُقاً في واقعنا العملي التطبيقي كل يوم.

- **وأول هذه المعاني: أن يجل الإنسان عبادته مع ربه تعالى؛** فيحتفي بمواعيد الصلاة، ويأتي المسجد مع الأذان، وإذا سمع الأذان أوقف كل شيء في يده، وقام بحق هذا الموعد، وجعله أصل كل شيء وقاعدته.

- **وثانيها: أن يجلّ وظيفته،** ويأتي إليها في موعدها المحدد، ويقوم بحقوق وقتها قدر استطاعته، ولا يأتي متخلِّفاً عنها، وإذا عقد موعداً مع أحد من العالمين، جاء في الوقت ذاته، أو قبله بقليل، ويرى أن ذلك دين يتعبد اللّٰه تعالى به..

وحين تستوفي تلك المعاني أحداثها في واقعه، يكون قد بلغ من درس الحج كل شيء.









النظام

- **حين تحجُّ تدهشك مشاهد النظام إلى أقصى مدى!..** رغم كثرة الحجيج، وضيق المساحة، إلا أن الجميع يتحلَّى بهذه القيمة، ولا تختل في حياة الواحد منهم في هذه الأمكنة في غالب الأحوال.

- يأتون يوم الثامن إلى منى، ولو أنك ذهبت في ذلك اليوم إلى عرفة أو مزدلفة، فلا تكاد تظفر عينك بحاج يتعبّد اللّه تعالى في تلك المساحة في ذلك الوقت.. ويأتي يوم التاسع فترى من تزاحم الناس في البقعة ذاتها للدرجة التي قد لا تجد لك موقع قدم في خارجها، بل تراه في آخر لحظة من غروب شمسها، وهو على حدودها، لا يستطيع أن يتجاوزها..

- وتشاهد الجمار في أيام ما قبل العيد، فترى مساحات فارغة حتى يخيّل إليك أنها ليست من المشاعر في ذلك الزمن، وتتساءل حينها: كيف استطاعت هذه الجموع أن

تمسك بالنظام، وتلتزم به، وتحافظ عليه في مثل هذه الصور التي تدعو للدهشة والإعجاب؟!..

- **المدهش بحق أنك لا تجد لهذا الحاج الملتزم بهذا المعنى آمراً أو ناهياً، وإنما هو من ذاته، يصنع ذلك تعبداً لربه، وقياماً بأمره وهديه!** وفي مرات تحاول أن تقنعه برخصةٍ من الرخص تخالف النظام العام، فيرفض التخلي عن ذلك المعنى، وقد يترك رفقته ومركوبه الذي مع الجماعة، ويتحمل تبعات الطريق، وتكاليف الشُّقة بكل ما فيها، من أجل هذا المعنى الكبير.

- **إن هذه القيمة واحدة من سلوكيات مدرسة الحج التي تربِّي صاحبها على حفظ النظام، والتربِّي عليه، والتخلُّق به، وتمثله في مشاهد الحياة العامة والخاصة، ليس في هذه المشاعر فحسب، وإنما في كل شيء.**

إنك حين ترى جملة من مشاهد الحياة العامة في واقع المسلمين، سترى صوراً مختلفة، وأحداثاً متباينة، ومشاهد لا علاقة لها بهذه القيمة التي تربَّى عليها صاحبها زمناً، وتمرَّس على صورها حتى تشبَّع منها.

- قد تنتظم في طابور طويل المدى، ومن ساعات مبكرة، تنتظر دورك، ثم ترى من يأتي من عرض الطريق،

فيدخل في ذلك الطابور قبلك، ويأخذ دورك ودور غيرك، ويقضي حاجته دون أن يجد في صدره شيئاً تجاهك، وأنت عليك أن تأخذ قسطك الكافي من حرارة الشمس وزحام الطريق، لأنك حاولت أن تتربى على آثار تلك المدرسة التي بقيت فيها زمناً تتعلّم تلك القيمة..

ـ وقد ترى من يجهد في تخطي هذه القيمة بكل ما يملك؛ فيأتي إلى تلك الجموع التي تنتظر في طابور طويل بسيارتها عند الصرَّاف الآلي، فلا يجد حرجاً في أن يوقف سيارته، ويأخذ دوره ماشياً، أو ينزل من سيارته، ويركب مع زميل له آخر في أول ذلك الطابور..

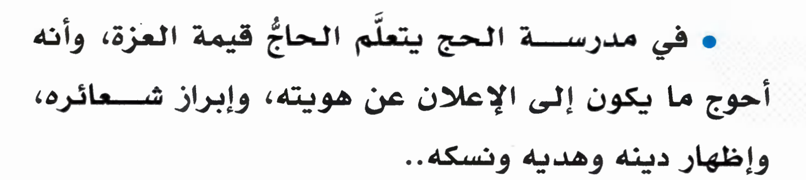
ـ أو ذلك الحاج الذي يلتزم بصور العبادات، ثم لا يجد حرجاً في أن يرمي زجاجة الماء الفارغة في عرض الطريق، أو بقايا طعامه الذي انتهى منه في الطريق العام..

ـ وقل مثل ذلك في صورٍ كثيرة، لم تأخذ حظها الكبير من هذه القيمة بعد في واقعها.





٨
العــــزة



• **في مدرســـة الحج يتعلَّم الحاجُّ قيمة العزة، وأنه أحوج ما يكون إلى الإعلان عن هويته، وإبراز شـــعائره، وإظهار دينه وهديه ونسكه..**

ترى ذلك في التلبية التي يعلنها الحاج عقب إحرامه: (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلك، لا شريك لك**).

وفي حديث السائب الأنصاري: أن رسول الله ﷺ، قال: «**أتاني جبريـــل، فأمرني أن آمر أصحابـــي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**» أو قال: «**بالتلبية**».

وفي الترمذي: من حديث أبي بكـــر الصديق رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سُـــئل: أي الحج أفضـــل؟ قـــال: «**العج والثج**». والعج: رفع الصوت بالتلبية.

وعند ابن ماجه: من حديث خالد بن زيد الجهني، قال: قال رســـول الله ﷺ : «**جاءني جبريل، فقال: يا محمد، مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعار الحج**».

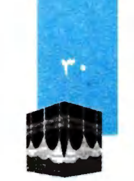
وفي الترمذي وابن ماجه: من حديث سهل بن سعد، قال: قال ﷺ : «**ما من مسلم يلبي إلّا لبى ما عن يمينه أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا**».

تخيّل هذه المعاني التي تصدح بها في الطريق من ميقاتك الذي أحرمت منه إلى مكة، ومن ثم في شعاب مكة وطرقاتها ومشاعرها المقدسة، ليسمع كل من حولك هذا الشجن العذب، وهذه المعاني الضخمة، وهذا التوحيد الذي يخرج من قلبك ومشاعرك في فجاج الأرض، بل تأمَّل وبوعيٍ أنك حين تلبي يجيبك الكون والجماد، ويلبي معك، ويتنادى في الوقت ذاته مع مشاعرك، حتى تلك الجمادات التي بمنأى عنك، كما قال نبيك ﷺ : «**حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا**»..

إنَّ هذا الإحرام الذي يجلل جسدك، ويبدو على ظاهرك؛ هو واحد من معاني العزة، ومظهر من مظاهرها.

- **ما أحوجنا إلى فقه هذا المعنى في عالم تشوبه الهزيمة في بعض مظاهره..**

كم مرة نحتاج أن نرفع رؤوسنا بالحق الذي معنا كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]!..



وكم مـرة نحتاج إلى فقه هذا المعنـى الكبير في قول الله تعالـى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]!..

● **حين تستقيم على دينك، فاعلم أنك في وسط الطريق ولست على حافته، وفي عمق الفضيلة وليس في جزء منها..**

الاستقامة منهج، وعقيدة، وقضية، وهـي في أصلها استجابة لربك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]..

وهي كذلك اقتداء بأعظم قدوة في تاريخ البشرية كلها: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ارفع رأسك، فما دمت على المنهج وفي الطريق ذاتها، فأنت الحق، وما عداك باطل وجاهلية..

وقم من مقعدك، فالحياة أكبر من قعود لا يحرك ساكناً في واقعك..

وهذه التلبية التي تخرج من فجاج قلبك ومشاعرك، يجب أن تأخذ حظها من واقعك إلى أقصى مدى!..







الـدعـــاء

• **تعلّمك مدرسة الحج: أنَّ صلتك بربك، وحاجتك إليه، وسؤالك إياه، وقربك منه هو كل شيء**؛ ولذلك شرعت لك مواقف كثيرة في مشـــاهدها لبلوغ هذه المعاني الكبار، ومن فقهك وكمال وعيك: أن تهب لها قلبك ومشاعرك، وتمنحها وقتك، وتقبل إليها بكلّيتك حتى تلقى فيها أمانيك.

كان الأنبياء والكبار ومن يعرفون اللّٰه تعالى حق المعرفة، يجلُّون هذا المعنى، ويحتفون به، ويهبونه أوقاتهم ومشاعرهم: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩]..

وإذا تأملت هذه المعاني وجدته يلهج بهذه الأدعية، وهو في غمرة مشروعه، وعمق مراحله، ولم ينته منه بعدُ!..

• **يمنحك الحج خمسة أوقات لهذه العبادة العظيمة،** ويدعوك أن تفضي بهمومك فيها، وتلقي بمشاعرك، وتسأل ربك وتلح عليه، وتدفع كل شيء لتحقيق آمالك من خلالها، وذلك: **على الصفا والمروة، وفي يوم عرفة، وفي فجر ليلة جَمْع، وعند الجمار،** ومن رعى هذه المواقف حقها، وأقبل على ربه بكليته؛ لقي منها بإذن الله تعالى ما يحلم به في الدارين.

تخيّل أن أمانيك كلها وَقْف على هذا المعنى الكبير، وأنك إذا صرفت لهذه العبادة من وقتك وقلبك ما يكفي، استقبلتك أمانيك في عرض الطريق، وكم من حلم زفَّك للحياة، وأوردك إلى مراتع النعيم في لحظة! كان أحد السلف يقول: **والله ما دعوت بدعاءٍ في الحج إلا رأيته رأي عين!..**

إذا جئت لهذه المواطن، فليملأ قلبك اليقين أن الله تعالى مجيبٌ دعاءك، ورازقك أمانيك، وممدك وواهبٌ لك كل شيء، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

وعند أبي داود وصححه الألباني: قال ﷺ: «**إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين**».

فكن على يقين بوعد اللّٰه تعالى، ثم أقبل عليه بكليتك، لا يتخلّف من قلبك ومشاعرك في هذا الموطن شيء، فإنما يُعطى الإنسان على قدر رغبته وأمنيته..

وكن على طهارة، وسَلِ اللّٰه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وردِّد: يا رب، يا رب، يا رب، وتخلّص من كل ما يمنع من إجابة دعائك، كالمال الحرام من ربا أو غش؛ لأن ذلك مانعٌ من إجابة دعائك، وقد قال ﷺ «**حين ذكر الرجل: يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يستجاب له؟!**»..

واللّٰه المسؤول أن يبلغنا وإياك ما نرجوه في هذه المشاعرِ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.







البراءة من المشركين

• **تؤسِّــــسُ فيك مدرســـــةُ الحجِّ قضية البراءة من المشركين، وتبني في روحك ومشاعرك مجانبة طريقهم، وتخلق في نفسك بُغضهم والتولِّي عنهم في كل شيء..** حتى قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اســـتقرت الشـــريعة على قصد مخالفة المشركين، ولا سيما في المناسك. اهـ.

وهذه عقيدة يجب أن تأخذ حقها من قلبك ومشاعرك، وتتوسع في واقعك إلى أبعد مدى!.

• إذا تأمَّلْتَ مدرسةَ الحجِّ وجدتَها تحرص وبجلاء على تعميم مفهوم البراءة من المشـــركين، وبشتى الصور، تبدأ مع بداية النسك، وفي التلبية بالذات:

- فتشرّع للحاج أن يلبي بتلبية رسوله ﷺ: (**لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شـــريك لك**) مخالفةً بذلك تلبية المشركين: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك).

- وفي الطواف يشرع لك أن ترمل في حجك في الثلاثة الأشواط الأولى (**والرَّمَل:** المشي السريع) كما صنع ﷺ في حجة الوداع، وسبب هذا الرمل أنه ﷺ لمَّا قدم هو وأصحابه قال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم، قد وهنتهم حمى يثرب، وجلسوا ينتظرون، فأمر النبي ﷺ أن يرملوا الثلاثة الأشواط الأولى، ليرى المشركون قوتهم وجلدهم، فحاول ﷺ نقض مقولتهم، والردَّ عليهم، والتشفي منهم بنقيض ما يتوقعون.

- ودفع ﷺ من مزدلفة قبل شروق الشمس مخالفة للمشركين، فقد كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون أشرق ثبير كيما نغير (**وثبير:** جبل، وكانت الشمس تأتي من قبله).

- وحين جاء ﷺ إلى وادي محسّر ما بين مزدلفة ومنى؛ حرّك دابته وأسرع قليلاً، لأنهم كانوا في الجاهلية يقفون في هذا المكان، ويذكرون أمجاد آبائهم، فخالفهم ﷺ في ذلك، حتى تعلم ما قال ابن القيم رحمه الله: استقرت الشريعة على قصد مخالفة المشركين، ولا سيما في المناسك. اهـ.

- **إن الدرس الكبير من هذه المدرسة: أن يتربى الحاج على إحياء مفهوم الولاء في واقعه، ويعلم أن معرفة عدوه هو أول فقه في المعركة وأهمها على الإطلاق.**

وفي الحديث: قال ﷺ: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»..

ثم إذا علم ذلك استعد لها بكل الوسائل الممكنة، وقام بحق الله تعالى فيها كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وأدرك أن العدوَّ بحاجة إلى مناهضة، ومواجهة فكرية ومفاهيمية قبل كل شيء.

- **إن الشعور بالمعركة يعلِّمنا العزَّةَ بهذا الدِّين، وأننا رجاله المكلفون بتمثله في واقعنا، والحياة به، والدفاع عنه في ميادين الحياة، ويعلِّمنا كذلك أن التقليد فرع عن الهزيمة، وأن من مظاهر النصر الكبرى إحياء معالم القدوة برسول هذه الأمة في كل شيء..**

وحين نبلغ هذه المعاني ونتمثلها في حياتنا، يأخذ هذا الدرس حقه من القناعة والتطبيق في واقعنا كمسلمين، ونعود أحياءً كأول وهلة.







١١
المسؤولية الفردية

- **يعلِّمك الحجُّ العنايةَ بنفسك، ويدرِّبك كيف تدير شأن واقعك، ويخلق فيك روح المسؤولية.**

ففي سنن أبي داود: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: إن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: لبيك عن شُبرمة. قال: «**من شُبرمة؟**» قال: أخ لي أو قريب لي. قال: «**حججتَ عن نفسك؟**» قال: لا. قال: «**حُجَّ عن نفسك، ثم حُجَّ عن شُبرمة**».

تأمَّل كيف أن هذه الشريعة تُعلّم الإنسان كيف يبني قراراته، ويعتني بشأنه، ويكتب حظه للدرجة التي تنهاه أن يصنع أي وجه من الإحسان حتى لأقرب الناس إليه قبل أن يتم أمره، ويبدأ بنفسه أولاً قبل كل شيء: «**حُجَّ عن نفسك، ثم حُجَّ عن شُبرمة**».

وهي تؤسس بهذا **مفهوم إدارة الأولويات**، وأن نفسك أولاً؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥].

وفي معرض العرض والحساب والفوز والخسارة يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

• من هذا الوعي ما صنعت تلك الفاضلة الصحابية الجليلة: **أسماء بنت عميس** رضي الله تعالى عنها، وهي تشعر بالمسؤولية الفردية، وتقرر الحج وهي في أكثر ظروفها حرجاً.

ففي صحيح مسلم: عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر بالشجرة، فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر يأمرها أن تغتسل وتهل.

وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه: أنها نفست بذي الحليفة ميقات المدينة في بداية خروجها وعزمها على الحج.

فتخيّل هذا الوعي وهذا الشعور بالمسؤولية، تخرج هذه المرأة وهي في شهرها التاسع، وتلد في الطريق، وتتم مشوار الحج ومشاهده ومشاعره كلها وهي نُفَساء! **ولو أنك منحت هذا المشهد مشاعرك، وتأملته بوعي، لأدركت عمق المسؤولية في مثل هذه الصورة الباذخة بالحياة.**

• وقس هذا الموقف بموقف رجل أو امرأة أخرى لم يتخلفوا من سنوات عن رحلات الصيف التي تكلّفهم سفراً

ومالاً وجهداً ووقتاً وعناءً، وما زالت فريضة الحج في أعناقهم، لم يتمكنوا من قضائها حتى الآن!..

وفي سنن أبي داود وابن ماجه: من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه، قال ﷺ: «**من أراد الحجَّ فليعجل**» وزاد ابن ماجه: «**فإنه قد يمرض المريض، وتضلُّ الضالّة، وتعرض الحاجة**».

- ماذا لو أن هذا الشعور صاحب الواحد منا في صلاته وجوارحه، وأصبح وأمسى يقلقه تخلُّفه أو تأخُّره عن صلاته، أو عدم خشوعه، أو تفلّت جوارحه فيما لا يرضي الله تعالى؟!..

ماذا لو أن الواحد منا أدركته هذه المشاعر في بيته وأُسرته وشعر بالقلق عليهم، وحرص على مرافقتهم في كل صلاة، وجهد بكل ما يملك في إسعاد بنته بالحجاب الشرعي، وأفاض على أسرته وبيته بكل نافع مفيد، وشعر بتبعات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، وجهد في فكاكهم من آثار النار.

إن من وعي الإنسان وفقهه: أن يشعر بمسؤوليته، وأن يجهد وسعه في القيام بحقوقها وتحقيق آمالها في واقعه.

***




١٢
التيســير

• **تعلّمنا مدرسةُ الحجِّ: أن هذه الشريعة سهلة سمحة، ليس فيها ما يعنت صاحبها أو يشق عليه..**

- ترى ذلك في **تشريع المواقيت**؛ فقد جعلها اللّٰه تعالى في الطريق ذاتها الذي يسلكها الحاج، ولم يشق عليه في ذلك؛ لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ).

وفي البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما فُتح هذان المصران أتوا عمر، فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن رسول اللّٰه ﷺ حدَّ لأهل نجد قرناً، وهو جور عن طريقنا، وإنا إن أردنا قرناً شقَّ علينا. قال: (فانظروا حذوها من طريقكم) فحدَّ لهم ذات عرق.

وحتى هذه المواقيت إذا جاء الحـــاج من غير طريقها حاذاها ثم أحــرم، ولا تكلفه الشــريعة أن يتــرك طريقه الأسهل ويأتي إليها، بل يكفيه أن يحاذيها، ثم يلبي ويمضي إلى عمرته أو حجته دون عنت أو مشقَّة.

- وقُلْ مثل ذلك في قصـــة **ضُباعة بنت الزبير**؛ حين دخل عليها النبي ﷺ، فقالت: يا رســول الله، إنــي أريد الحج وأنا شاكية. فقال ﷺ: «**حجِّي، واشترطي أن مَحِلِّي حيث حبستني**».

وهذا المعنى من اليســر يجــري في حق كل شـــاكٍ أو خائف، فإذا اشترط فقال: «**فإن حبسني حابس فمَحِلِّي حيث حبســـتني**» ثم مرض أو حبس عن مواصلة الطريق، فله أن يحل من إحرامه، ولا تكلفه الشريعة شيئاً أو تُرتِّب عليه إثماً.

- وإذا تأملت قصة **كعب بـــن عجرة** رضي الله عنه، قال: حُملت إلى رســول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «**ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى، تجد شاة؟**» قلت: لا، قال: «**فصم ثلاثة أيام أو أطعم ســـتة مســـاكين لكل مسكين نصف صاع**»؛ وَجَدْتَ أنَّ فيها هـــذا المعنى؛ فإن الحاج إذا احتاج إلى فعل محظور من المحظورات، فله أن يفعله ويكفّر عنه، وليس عليه بعد ذلك شيء.

- **وبمجرد قراءة هذه الشريعة ســـتجد بأنها شريعة سمحة سهلة يسيرة، لا تكلف الإنسان فوق طاقته.**



- وهذا الحج في أصل تشريعه على الاستطاعة، ولا يجب إلا في حق المستطيع.

- وكل الواجبات في الحج تجبر بدم، ولا إثم على صاحبها إذا تركها بعذر.

- ويجوز للحاج أن يوكِّل في جملة منها عند عدم قدرته كالرمي مثلاً، ويجمع رمي اليومين في يوم.

- ولا يزال الحاجُّ يقصر ويجمع الصلاة في مشاعر الحج حتى يعود إلى بيته..

وكل ذلك من يُسر هذه الشريعة وجمالها وألقها، ولو أننا قرأناها بوعي لرأينا فيها كل شيء.

• **إن هذا المعنى الضخم، وهذه القيمة الكبرى، يجب أن تأخذ مساحة من حياتنا، بدءاً بالتعامل مع نفوسنا في برامجنا وأهدافنا**، وألا نشق على أنفسنا بأوراد ومشاريع وأهداف تجهد قلوبنا ومشاعرنا قبل نفوسنا، وتلقي بنا لليأس والإخفاق، ونتوقف مضطرين في قارعة الطريق.

ونحتاج ذلك في التعامل في بيوتنا مع زوجاتنا وأولادنا، وأن تجد هذه الأسرة روح هذا المعنى وألقه من خلال ذلك.

ومثل ذلك في **وظائفنا ومسؤولياتنا مع الآخرين.**





١٣
إجلال البيت وتعظيمه

• **تعلِّمك مدرسةُ الحجِّ: أن تعظيم البيت وإجلاله، من القيم التي يجب أن تأخذ حقها في حياة كل مسلم وواقعه.**

- ترى هذا المعنى في هذه **المواقيت التي تحيط بالبيت** من كل مكان، ولا يحل لمن أراد الحج والعمرة أن يدخل مكة، إلا وقد تجلّلَ بهذا الإحرام، تقديساً له، وإجلالاً لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ).

- ولو أنك أمعنت في **صورة ذلك المحرم**، وهو يرمي بثوبه، ويتخلى عن زينته، ويبقى في ذلك الإزار والرداء حتى انتهاء مشاهد تلك العبادة، لأدركت هذا المعنى بجلاء!..

- بل لو أنك أرسلت طرفك متأمِّلاً في **هذه الجموع**، وتلك المشاهد التي تزدلف في هذه المشاعر، لرأيت من مشاهد هذا الإجلال!..



• وفي كتاب الله تعالى موعظة غاية في التعظيم: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

مجرد الإرادة القلبية لمعصية من المعاصي كافية لوقوع العذاب، وأشد أنواع العذاب وآلمه، فكيف بالواقع في المعصية، والمتدنّس بآثارها القبيحة في رحاب تلك المشاعر وربوع ذلك البيت؟!..

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلّط عليها رسوله ﷺ والمؤمنين، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي، وإنما أُحِلَّتْ لي ساعة من نهار، وإنها لن تحلَّ لأحد بعدي، فلا ينفّر صيدها، ولا يُختلى شوكها، ولا تَحِلُّ ساقطتها إلا لمنشد**».

وفي الصحيحين: قال ﷺ: «**إن إبراهيم حرّم مكة، وإني حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة**».

• لقد ذكّر الله تعالى **بجملة من الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها الحاج تعظيماً وتقديساً لهذه الفريضة، وإجلالاً لهذه المشاعر المباركة:** ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولا تستقيم هذه العبادة في حياة صاحبها، إلا بهذا المعنى الكبير! ومن العبث أن يحج الإنسان، وقد عثت جوارحه في كل شيء، وخرج من هذه المشاعر وقد ترك

فيها ما يستحيي الإنسان أن يراه آخر، فكيف بالله تعالى؟!..

حين تقرأ في سيرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يُروى عطشك من إجلاله لله تعالى وتعظيمه، وإجلال شعائره، تراه وهو يشيد صرح هذا البيت ويبنيه، ويقيم قواعده وجدرانه، وهو يردد ويسأل الله تعالى قبول عمله، ولم تجف يده بعد من ترابه: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨].

ولا يرى هذا العمل مع جلالته كافياً للقبول، إن لم يقبله الله تعالى، ويكتبه في ميزانه.. فكيف بمن يلوّث جوارحه بالحرام في جنباته، ثم ينصب يديه يدعو بقبول عمله وثوابه؟!.. والله المستعان.

• **إن من الوعي: أن يأتي الإنسان وهو يستشعر عظمة هذا البيت وجلاله**؛ فيجله ويعظمه معنويّاً بكل أنواع الطاعات، وألّا يترك شيئاً من خيرٍ ما وسعه إلى ذلك سبيل، وأن يحذر غاية الحذر وأشده أن يلقي بشيء من جوارحه في ظلام، فيعود بأثقال الخطايا والأوزار، بعد أن كان مرجوّاً له مغفرة الذنوب والآثام.





الأسئلة الناهضة

- **تؤهِّلك مدرسةُ الحجِّ للاهتمام بسؤالك، وتدرِّبك على العناية بالأسئلة الناهضة في حياتك..**

- حدّث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّــهُ لَقِيَ رَكْباً بِالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُــولُ اللهِ» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْــرَأَةٌ صَبِيّاً، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَــمْ، وَلَكِ أَجْرٌ». إن هذه المرأة أول مرة تلقى النبي ﷺ، وكان لديها ألف سؤال، ولكنها انشغلت بأكثر هذه الأسئلة حظّاً في حياتها: «أَلِهَذَا حَجٌّ؟» كان ابنها صغيراً، وســيرافقها في رحلة هذه المشاعر، فسألت ســؤال اللحظة الممكنة: أله حج؟ حتى تأخذ كل ما يمكن لتصحيح عبادته، أو أنه ليس له حج، فتنشــغل بما هو أولى وأعظم في رحلتها من العناية بتصحيح عبادته!..

هذا السؤال يدلك على عقل هذه المرأة، وقدرتها على استثمار الفرص، وعظم شعورها بمسؤوليتها عن وليدها.

- وفي الصحيحين: من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن امرأة لقيت النبي ﷺ في حجة الوداع، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ

فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخاً كَبِيراً، لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

ـ وفي البخاري: أن امرأة من جهينة جاءت للنبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحجُّ عنها؟ قال: «**نعم، حجي عنها**».. **فتأمل هذه الهموم، وانظر إلى هذه الأسئلة الناهضة، كيف كانت تشغل ذلك الجيل! وكيف كانت تسيطر على تفكيره،** ويستثمر فيها لحظاته، ويبادر بها زمانه، ولا يفوّت بها الفرص العارضة في الطريق.

• **وإذا قرأت رحلات الحج وأحاديث تلك الأجيال، ستجد أن النقاشات التي كانت تدور بينهم، والأحاديث التي كانوا يقطعون بها الطريق كانت تمثّل نوعاً من الوعي الكبير، وينتج عنها نوعٌ من الأسئلة الناهضة في واقعهم:**

ـ ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن حُنين: أن عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة اخْتَلَفَا بِالْأَبْوَاءِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ، وَقَالَ الْمِسْوَرُ: لَا يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ، فَأَرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ وَهُوَ يَسْتَتِرُ بِثَوْبٍ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُنَيْنٍ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، أَسْأَلُكَ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ؟. فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ رضي الله عنه يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ فَطَأْطَأَهُ، حَتَّى بَدَا لِي رَأْسُهُ، ثُمَّ

قَالَ لإِنْسَانٍ يَصُبُّ: اصْبُبْ. فَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ.. ثُمَّ قَالَ: (هَكَذَا رَأَيْتُهُ ﷺ يَفْعَلُ).

فتخيل هذا العراك الفكري، وهذه النقاشات المثمرة التي تتمخض عنها هذه الأسئلة الناهضة في واقعهم، ثم تأتي أجوبة تنفع الأمة في كل عصورها على الإطلاق..

- ومثل ذلــك: أن رجلاً قال: يا رســول الله، ما يلبس المحرم؟...

• **إن من المؤسف اليوم أن أوقاتنا كلها أو تكاد تذهب في أسئلة هامشــية، لا قيمة لها في حياة صاحبها على الإطلاق،** أسئلة لا تتعلّق بحياة الإنسان ونهضته في الحياة، وعبادته ودائرة تأثيره، والمساحة التي يشغلها في واقعه، وإنما أسئلة فارغة تتعلّق بحياة الآخرين، وتجلب على صاحبها كبائر الذنوب والموبقات.

مشغولون في مرات كثيرة بماذا صنع فلان؟ وما الذي حدث في الواقــع؟ ولمــاذا فعلــوا كذلك؟ ومــن المســؤول عن تلك الحوادث؟.. وكلها في النهاية أسئلة لا يترتب عليها عمل، ولا تدار من خلالها نهضة فكرية أو جوانب تطبيقية، وإنما هي تتبُّع لأخبار الناس ومطاردة لواقعهم، وانشــغال عن هموم الإنســان الحرة، وقضاياه المصيرية التي تبني مجده، وتكتب حظوظه في الدارين.

• **ومن الفقه والوعي: أن ندرك أنفسنا، ونستثمر أوقاتنا في كل نافــع مفيد، وأن تكون رحلة الحــج بهذه المعاني الكبار مدرسةً في النهضة القادمة في حياتنا جميعاً.**



١٥

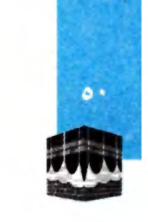
ستـر المـرأة

• **تعلّمنا مدرسـةُ الحجِّ: أن حجاب المرأة وسـترها، قضية ضرورية في شريعة الله تعالى، ترى ذلك في جملة من نصوص الحج التي جاءت مرتبطة بهذا المعنى الكبير في حياتها.**

ففي الصحيحين: مـن حديث ابن عبـاس رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا معها ذو محرم، ولا تسـافر المرأة إلا مع ذي محرم**» فقام رجل، فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا. فقال ﷺ : «**انطلق فَحُجَّ مع امرأتك**»..

يأمره أن يترك الجهاد مع الحاجـة الملحَّة إليه، وقد كُتب اسمه في صفوف المجاهدين، ويأمره أن يلحق بزوجه لضرورة المَحْرم حتى في الحج!.

• **وإذا تأملت رحلة الحج وأحكامها بشأن المرأة، رأيت**



فيها من حرص الشريعة عليها ما يفوق تصوُّرك عن هذه القضية:

- فإن من المعلوم أن الشريعة تأمر الرجل في **الإحرام:** أن يتخلَّى عن ثيابه وزينته، ويلقي بها، ويلبس إزاراً ورداءً، ويكشف رأسه، وفي المقابل تأمر المرأة ألا تتخلَّى عن شيء من ثيابها كلها سوى القفازين والنقاب، وقد قام الإجماع بين أهل العلم على أن المرأة تحرم فيما شاءت من الثياب.

- وفي **الطواف:** جاءت السُّنَّة بِرَمَل الرجل في الأشواط الثلاثة الأولى، وأن يمشي فيها سريعاً، إلا المرأة فالإجماع على أنه لا يحل لها الرَّمَل في الطواف، وأن واجبها المشي فحسب.

- وفي **السعي:** لا يحل للمرأة أن تجري ما بين العَلَمين، مع أن الجري في هذا الموطن أصله من فعل امرأة، ومن السُّنَّة للرجل أن يسعى سعياً شديداً في هذا الموطن.

- وفي سنن أبي داود: عن أبي واقد الليثي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه في حجة الوداع: «**هذه، ثم ظُهور الحُصْر**».

وفي مسند أحمد: من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه، قال: «**إنما هذه الحجة، ثم**



الْزَمْــنَ ظُهُور الحُصْــر» أي: تكفيكن هــذه الحجة، ثم لا تخرجن من بيوتكِن بعد ذلك.

- وفي الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: قلتُ: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ قال: «**جهادكنَّ الحج**».

• **تعلِّمك هذه الشريعةُ:**

- **أنَّ هــذه المــرأةَ جوهرةٌ من حقهــا أن تصان عن الابتذال**، أيّاً كانت؛ أمّاً، أو زوجاً، أو أختاً، أو بنتاً.

- **وأن عليها أن تفقه مكانتها، وتدرك دورها**، وتعلم أن شريعتها حرصت على تكريمها، وحفظها، وصونها، حتى في شــأن العبادات الكبرى، فضلاً عن الجوانب التي تمارسها في حياتها العامة.

- **وعلى وليِّهــا أيّاً كان أن يرعى هــذه المعاني**، وألَّا يعرضها للذئاب؛ فتفســد عفتها أيّــاً كان وضعها، أو كانت المصالح المتوخاة من تلك الأعمال.

• **وتؤهِّلك الشــريعة في المقابل على أن تحاكم كل دعوى بشأن المرأة إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ**، وألا تقبل دعوى أو قولاً أو رأياً بشأنها، إلا ما كان يجري في نهر هذه الشريعة، ويأخذ من معينها الثر.





١٦ المـرأة الواعـية

• **من مباهج مدرسة الحجِّ: أنها تعطي صورة واضحة للمرأة الناهضة، القادرة على التفاعل مع واقعها وعصرها الذي تعيش فيه، بكل ظروفه وملابساته.**

ترى ذلك في سؤال المرأة عن عبادة ولدها: (ألهذا حج؟).. وسؤال الأخرى عن ظروف والدها، وأنه لا يستطيع أن يثبت على الراحلة: (أفأحج عنه؟).. وسؤال الثالثة: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحجُّ عنها؟)..

إن هذه الأسئلة لها ما قبلها من حياة الروح والقلب والمشاعر والشعور بالمسؤولية، ولا يمكن أن تأتي من فراغ ألبتة، ولها كذلك ما وراءها من الأحداث؛ فالأصل أن كل سائلة أتمَّتْ سؤالها بالعمل والتطبيق، ولا يمكن أن تأتي أسئلة ذلك الجيل فارغة من العمل والتطبيق.

• **ماذا لو أن المرأة اليوم وعت هذه النهضة في واقعها أولاً، فعملت على حياة قلبها ومشاعرها،** وجهدت في

إصلاح حياتها قدر وسعها، وسعت في أن تكتب لنفسها موقعاً بين الأحياء!..

ماذا لو أن كل امرأة اعتنت ببيتها وأسرتها، وأثْرَتْ هذا الواقع ببرامج عملية تطبيقية، من خلال جملة من القيم والمثل والمعاني التي تسهم في تشكيل شخصياتهم، وبناء أفكارهم وتصوراتهم في الحياة!.

- تخيّل هذه النهضة الفاعلة في شخصية **أسماء بنت عميس** زوج أبي بكر رضي الله عنها وهي تقرر أداء فريضة الحج وهي حامل، وتلد في الميقات فور خروجها من المدينة مباشرة، وتتم مشاعر الحج كلها بكل ما فيها وهي نُفساء في أيامها الأُوَل من وضعها!..

- وتخيّل في المقابل تلك النهضة الروحية في واقع **عائشة** رضي الله عنها؛ ففي مسند الإمام أحمد: عنها رضي الله عنها، قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وأنا بسَرِف وأنا أبكي، فقال: «**ما يبكيك يا عائشة؟**» فقلت: يرجع الناس بنسكين وأنا أرجع بنسك واحد؟! فقال ﷺ: «**ولم ذاك؟**» قالت: إني حضت... الحديث؛ وذلك لأنها لن تتمكن من التمتع، وستفوتها العمرة.

وفي نهاية حجها أمر النبي ﷺ أخاها عبد الرحمن أن يذهب بها إلى التنعيم ليُعْمِرَها.

• **ويمكنك أن تنظر للفــــرق المهول بين هذه الهموم التي تصل فيها المرأة للبكاء على فوات حظها من العبادة، وبين الهموم التي تعيشها جملة من فتياتنا** على مساحيق الزينة، وأدوات التجميل، ووسائل التواصل الاجتماعي التي تفرقت بسببها أُسر، وحصل طلاق وافتراق، لأن الزوج منع زوجه من شــــراء جوال، أو منعها من بعض وسائل التواصل الاجتماعي!..

• **إن المــــرأة هي المكــــوِّن الأول للأســــرة، وهي المحضن الطبيعي للتربية، وعليها تقع تبعات النهضة في واقع تلك الأسرة،** ومتى وُجِدت المرأة الناهضة في بيتها وأسرتها ومدرستها مع بنات جنسها قامت الحياة، وجرى الري في ذلــــك الواقع إلى أبعد مــــدى، ومن قرأ التاريخ أدرك ذلك بجلاء.









الـقـــدوة

• **المدهش في مدرسة الحجِّ: أن هذه الفريضة مرسومة بأدق التفاصيل، ولذلك قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم».**

ولن تجد سُـــنَّة فضلاً عن ركن أو واجب من الواجبات، إلا وهو واضح في أدق التفاصيــل وأخصرها على الإطلاق، **وفي هذا المعنى من إحياء معاني القدوة وإجلالها ما فيه.**

• **إنك لن تجد شيئاً في الدنيا كلها، إلا وللقدوة فيه سُنَّة ومنهج، وطريق ومَعْلَم،** ولذلك قال تعالـى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وحياة كل إنسان ونهضته في هذه الحياة، على قدر ما فيه من معالم هذه القدوة الكبرى.

ومعالم هذه القدوة ليســت في أحــكام فريضة الحج فحسب، وإنما في المعاني الســلوكية والتربوية أيضاً التي كان يُلقيها ﷺ في مواقف الحج، ويربِّي من خلالها.

- مــن ذلك: مــا رواه أبو هريــرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ

خطب، فقال: «**أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا**» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال ﷺ : «**لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**».

وهو بهذا يرسم مشهداً من مشاهد القدوة، فيقوّم من خلاله سلوك هذا الرجل، ويطرح منهجاً تقتدي به الأجيال إلى قيام الساعة: «**فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم**».

- وحين دخل ﷺ رابعة ذي الحجة مهلّاً بالحج، فأمر صحابته بأن يحلوا بعمرة، ففشت قائلة بينهم، حتى قال جابر رضي الله عنه : فيروح أحدنا إلى منى وذَكَرُه يقطر منيّاً! فبلغه ﷺ ذلك، فقام خطيباً، فقال: «**بلغني أن قوماً يقولون كذا وكذا، والله لأنا أبرّ وأتقى لله منهم، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت**».

- ولمّا بلغته مقالة المشركين: يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب. فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين. وعند ابن ماجه: «**إن قومكم غداً سيرونكم؛ فليرونّكم جُلْداً**».

- ولما دفعوا يوم عرفة سمع ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: «**أيها الناس، عليكم بالسكينة؛ فإنَّ البر ليس بالإيضاع**» أي: السير السريع.

- وقال ﷺ لابن عباس غداة العقبة، وهو على راحلته: «**هات اِلْقَـــطْ لي الحصى**» قـــال ابن عبـــاس: فلقطتُ له حصيات هنّ حصى الخذف، فلمَّا وضعتهـــن في يده، قال: «**بأمثال هؤلاء، وإياكم والغُلُوَّ في الدِّين، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدِّين**».

- **إن هذا الدرس في مدرســـة الحـــج يؤكّد ضرورة القدوة في حياة الأمة، وأنه لن تســـتقيم حياة إنسان إلا بقدوة، يأخذ منها كل شيء في حياته، وأن أعظم قدوة في الدنيا كلها هو هذا النبي** ﷺ .

وأن كل قول مصـــادم لقوله ﷺ فيجـــب أن يضرب به عرض الحائط، مهما كان قائله!.

وفي المقابل: فإنّ الأم في الأُسرة، والقائد في المؤسسة؛ تأثيرهم على من يتولون تربيتهم منوط بالأخذ من معين هذه القدوة أولاً، وعليهم أن يستشـــعروا ثانياً أنهم مسؤولون عن تصرفاتهم كلها، وأن العين ترقبهـــم، وأن عليهم أن يكونوا حاضرين في كل موقف يحتاج إلى دعم، أو سلوك يحتاج إلى تعديل، أو مفهوم يحتاج إلى بناء أو تصحيح.

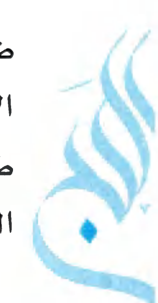




١٨ الوسطية

• **تبني مدرسة الحجِّ في حياة الإنسان مفاهيم ضخمة، وتؤسس لديه تصورات كبيرة: من ذلك: أن هذه الشريعة سهلة يسيرة، لا مجال فيها للعنت والمشقة، ولا طريق فيها للغلو:**

- فقد قال ﷺ لابن عباس غداة العقبة، وهو على راحلته: «**هات القطْ لي الحصى**» قال ابن عباس: فلقطتُ له حصيات هنّ حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده، قال: «**بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوَّ في الدِّين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**». وقد لا يتصور الحاج أنه ربما يمارس صوراً في حجه يريد بها تعظيم اللّٰه تعالى، ويقع في الوقت ذاته في الغلو وهو لا يشعر؛ كالذي يأخذ حصى ضخمة مبالغة في العبادة، أو يزيد في عدد الحصى من باب الاحتياط، وهو يرى مثلاً أن زيادة حصاة واحدة فيها طمأنينة لقلبه، وسكينة له، واحتياطاً لعبادته.. وَفَاتَهُ في الوقت ذاته أنه وقع فيما هو أسوأ وأشنع وأضل؛ فإن الزيادة





كتعمد النقصان لا فرق، وهذا هو الغلو الذي هلكت بسببه الأمم من قبل.

- ولذلك قال ﷺ في الوضوء: «**الوضوء ثلاثاً، فمن زاد فقد تعدَّى وأساء وظلم**».. مع أن هذه الزيادة قد تكون غسلة واحدة، ومع ذلك اعتبرتها الشريعة تعدياً وإساءةً وظلماً.

- وفي الصحيحين: عنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: «**حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ**».

- وفي البخاري: عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**» قَالَتْ: فُلَانَةٌ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: «**مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

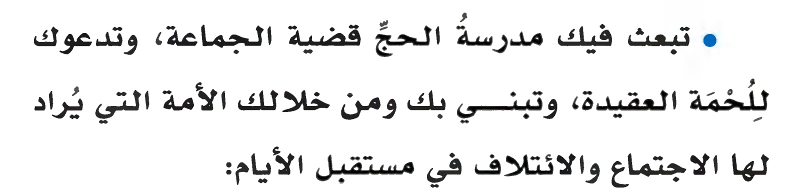
- **إن من الفقه والوعي: أن يرعى الإنسان هذا المعنى في عبادته، وفي حجه على وجه الخصوص، وفي كل شؤونه..**

وكما أن هذا المعنى يجري في قضايا العبادة، فهو كذلك يجري فيما أوسع وأضر على صاحبه؛ **كجوانب التفكير، والحكم على الأشياء، وتقديس الأشخاص حتى بلغ بقوم إلى الشرك بالله تعالى**. ولا يكاد هذا المعنى يدخل في شيء إلَّا أفسده، والله المستعان.





الـوحــــدة



- **تبعث فيك مدرسةُ الحجِّ قضية الجماعة، وتدعوك لِلُحْمَةَ العقيدة، وتبنـــي بك ومن خلالك الأمة التي يُراد لها الاجتماع والائتلاف في مستقبل الأيام:**

إن هذه الجمــوع التي تأتي إلى هذه المشــاعر من كل مكان، وتجتمع في مكان واحد، وتنفق من أجل ذلك الأموال والأفكار والأوقات؛ لهي حقيقة بالوحدة ولو بعد حين.

وفي كتاب الله تذكير بهذه الغايات الكبرى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال ﷺ : **«مثل المؤمنين فـــي توادهم، وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشـــتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».**

إنك حين تتأمل هذه الفريضة وهذه الجموع التي تأتي كل عام إليها وفي بقعة واحدة، ومســاحة ضيقة، وأماكن

محصورة، وأيام معـــدودة، ثم تتآزر هذه الجموع ويتم لها ما أرادت في يُســـر وســـهولة، تعلــم منه أن ثمـــة غايات ومقاصد كبيرة وضخمة وراء هـــذه الجموع التي تأتي من أصقاع الأرض في كل عام، وحاجة هذا المعنى اليوم للفقه جليلة القدر، كبيرة الشـــأن، خاصة فـــي ظل هذا التناحر والخلاف والتقاطع بين أبناء الأُسرة الواحدة، فضلاً عن الأمة الواحدة.

لو أن الواحد منا فقه هذه القيمة لبذل لها وفي سبيلها كل شـــيء، ولعَلِمَ أنَّ كل عمل يؤســـس لبناء هذا الشأن في الواقع حتى لو كان بسيطاً؛ فإنه يستحق الاحتفاء.

- **ماذا لو أن الحاج فقـــه معنى الإخاء، ورأى أن هذه الفرصة مـــن أعظم الفرص في حياته كلها، فشـــرع في التعرّف على المسلمين، وبنى معهم علاقات، واستثمر كل فرصة لبناء صرح هذا الإخاء في مستقبل الأيام.**

يمكنك أن تعين أحدهم على الدراسة في إحدى جامعات هذه البلاد، ليستقي منها العلم ويعود حامل رايته الكبرى في بلاده.. أو مشـــورة في قضية، تحل له مشكلة أزلية في واقعه ومشروعه وعلاقته.. أو تهديه بعض كتب التوحيد التي تؤسس له صرح الدعوة الصحيحة في بلاده..



فكيف لو اتسعت دائرة هذا التعارف لتشمل العلماء وطلاب العلم والعامة، فتتناقل التجارب ويستفاد من الخبرات، وتؤسس علاقات وطيدة من أجل دين الله تعالى.

- لو أننا فقهنا هذا المعنى؛ لأخذنا بيد المحتاج منهم، ولحملنا الكبير الثقيل، ولتركنا الظلَّ للأحوج منا، ولاقتسمنا المكان بدل أن نتنازع عليه، ولتشاركنا في وجبة الطعام التي تيسَّرت لبعضنا، ولَجَرت الحياة في واقعنا فوق ما نتصوّر عن هذه الفريضة التي تمضي في مرات في خصام ونزاع وخلاف، مع صاحب الدين الواحد، على قارورة ماء، أو وجبة طعام، أو مساحة مكان.

ماذا لو حج الواحد منا وفي نيته أن هذه الفريضة فرصة لبناء هذه المعاني الضخمة في نفوسنا، وإحياء الإخاء الذي بات ينضب في واقع كثير منا، وجَهِدَ في إعادة بعض صور إخاء المهاجرين والأنصار في زمن الرسالة الأولى.









الحافز

• **كل مدرسة لا تخلق حافزاً ملهماً؛ لا تستطيع في الغالب أن تخلق روحاً في المستثمرين فيها..** وقد جبلت النفوس على التعلّق بما يدفعها للعمل، ويدفع أرواحها للحياة.. **وفي مدرسة الحج ترى هذا الجانب في أكمل صوره وأعظم معانيه:**

- ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلَّا الجنة**». وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ قال: «**من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**». وقال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس له ثواب إلَّا الجنة**». وقال ﷺ: «**وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر**».

• إن القارئ لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ، سيجد من النصوص التي تحدثت عن الجنة وجزاء الأعمال وثوابها فوق

ما يتصوّر، مع أن أصل وجود الإنسان في الدنيا لعبادة الله تعالى، ومع ذلك في الوحي من النصوص المغرية له لتحقيق هذا الشأن ما فيه، وهي بهذا دعوة لتعميم هذا المعنى في حياتنا الشخصية والعامة حتى نأتي على ما نحلم به من آثار.

إن نفوسنا بحاجة ملحَّة لقراءة هذه الحوافز حتى تأخذ حظها من العمل، وتُصَابِرَ على الطريق، وتتحمّل مشاقه وأثقاله وأتعابه، ولذلك كان من الوعي والفقه أن يضع الإنسان لنفسه خطة تحفّزه لبلوغ أمانيه وأهدافه، من خلال مقروء، أو مسموع، أو لقاء، حتى تجري الحياة في قلبه، ويكتب حظه من واقع العمل والبناء.

- **ومن الوعي كذلك: أن يعتني العاقل بهذا المعنى في بيته مع أسرته**؛ فيضع ما يعينهم على تحقيق أهدافهم في الحياة، وألا يَكِلَهُم لعنت هذه الأهداف ومشاقِّها وتكاليفها، وكذلك الشأن مع كل من يلي معهم مسؤولية، ويدير معهم شأناً في مستقبل الأيام.

- **علينا أن نعي أن النفوس بحاجة إلى شيء من لعاع الحياة العاجل، وأن تُصانع به، وإلَّا توقفت في عرض الطريق، واستسلمت للعجز، واعتذرت عن مواصلة الطريق، وكلَّتْ عن زحام المعالي.**





٢١

البذل والعطاء

• **المدهش في عبادة الحج هذا البذلُ والعطاءُ الذي يصنعه الحاج في هذه الرحلة الماتعة، فتراه يبذل مالاً ضخماً، وســـفراً طويلاً، وجهداً بدنيّاً كبيراً،** ويصنع كل ذلك والفرح يغمره، ومشاعر الشـــوق تجتاحه، ويرى بأنه الأحق بالفرح، والأجدر بالفوز في مثل هذه المناسبات.

في مرات كثيـــرة يتردد الواحد في دعم مشـــروع ولو باليسير، وتجري في حياته تســـاؤلات كثيرة قبل أن يمد يده إلى بضع ريالات، وربما لا يهب له منه شـــيئاً.. وفي أخرى لا تكاد تنشرح نفسه للمشـــاركة ساعة أسبوعية أو شـــهرية في جهة خيرية، ويلقى عنتاً في هـــذا الطريق.. وثالثة لا يقوى الإنســـان على مدِّ يد العون لمن هم حوله عجزاً وكســـلاً، فضلاً عن أن يقطع مسافة سفر في سبيل ذلك المشـــروع.. وتراه في هذه العبـــادة فرضاً كانت أو تطوعاً، يبذل كل ما يملك من مال وتفكير وجهد، لإغاثة مشاعره بهذا المعنى الكبير.



المدهش أنك ترى مُسِنّاً ومريضاً وعجوزاً، ومن بلاد غربة وعلى كبر؛ يمشون على أقدامهم، ويقطعون مسافات طويلة جدّاً، لا تتخيل أن يقوموا لشأنهم الخاص في بيوتهم، فكيف جاؤوا؟ وكيف تحمَّلوا كل تلك الأعباء التي ينوء بحملها وأثقالها الأقوياء؟!..

- **إن هذا الدرس يمنحنا شعوراً بأن لدينا مقدرات ضخمة، وأن أشواق الإرادة الصادقة تحمل صاحبها إلى أمانيه، مهما كانت ظروفه التي يعيشها، وأحداثه التي يقابلها في تلك الحقبة من الزمن.**

كثير منا لديه أفكار ومفاهيم ومقدرات، يمكنهم أن يشاركوا بها في دين الله تعالى، ويوسّعوا بها مساحات هذا الدين، لو أنهم أقنعوا أنفسهم بذلك، وحاولوا جادين تحقيق تلك الأماني.

يمكنك أن تشارك في دعم دينك بقلمك وفكرك، وتحرس لهذا الدين ثغراً، وتقف على بوابته بعزمٍ وصدق، ويمكنك أن تشارك في بنائه من خلال وظيفتك وموقعك، فلا يجري في مساحاتها سوى قيم دينك، ومبادئ رسالتك المثلى، ويمكن أن يكون ذلك من خلال مئة ريال تشارك بها في كفالة أسرة، أو إعالة يتيم، أو دعم حلقة تحفيظ، أو المساهمة في وقف دعوي.. فإن عجزت عن كل ذلك، فلا أقل من أن تدفع بولدك وبنتك لحلق التحفيظ، وتعتبر ذلك سهماً في المشاركة في تأهيل طاقات الإسلام القادمة، وتهيئة أنصاره في مستقبل الأيام.





المســاواة

• **يعلِّمك الحجُّ: أن هــؤلاء الخلق عبيد لله تعالى، لا فرق بينهم إلَّا بالتقوى..**

حين تمد بصرك إلــى هذه الجمــوع، لا تجد حاجّاً يختلف عن آخر في مظهره، كلٌّ جَلّلَ جســده بهذا الرداء والإزار، حتى إنك لا تكاد تفــرّق بين حاج وآخر، تختفي المناصب، وتتوارى التصنيفات، ويتجرد كل شــخص من وظيفته ومسؤوليته وعِزْقِه، ولا يبقى من ذلك شيء.

تنتهي في هــذه العبــادة كل أشــكال الطبقيات الاجتماعيــة، والتصنيفــات المذهبيــة، والعصبيات القومية، ولا يبقى إلا شأن العبودية لله تعالى ظاهراً جليّاً في حياة كل حاج.

كلهم يطوفون ويسعون في المكان ذاته، ويتحركون إلى منى في الوقت ذاتــه، ويأتون إلى عرفة فــي اليوم ذاته، ويقفون في المــكان ذاته، ويؤدون العبــادة كلها في وحدة

واحدة متماسكة، لا يكاد يفترق أحدهم عن الآخر في شيء، وكل واحد من هؤلاء أيّاً كان موضعه، ومكانته، وجنسيته، ومذهبه، يرفع يديه كالفقير المسكين، يرجو ما عند الله تعالى، ويشتهي مغفرته وثوابه.

- لو أنك تخيلت هؤلاء جميعاً في **عصر عرفة** على سبيل المثال، على اختلاف مذاهبهم، ومشاربهم، وأماكنهم، وقد ألقوا كلهم بأيدهم إلى السماء يرجون ما عند الله تعالى؛ التاجر، والوزير، والغني، والفقير، والملك، والأمير، وعوام الناس لا فرق..

ولو رأيتهم **مساء مزدلفة** وهم يلقون بأجسادهم العارية في صحرائها، وينتظرون فجر العيد بشوق..

ولو امتد نظرك إلى **فجر العيد** بالذات، ونشرت بصرك حول **الجمار**، لهالتك تلك الجموع الغفيرة التي تزدحم كلها على أداء هذه العبادة التي أرادها الله تعالى في الموطن ذاته، لا فرق بينهم، كلهم أقبل يرجو ما عند الله تعالى، ويريد ما لديه من خيرٍ وبرٍّ ومعروف.

- **ماذا لو أخذت هذه القيمة مساحتها الكافية في واقعنا كمسلمين، وأن تنتقل هذ المعاني من تلك المشاعر إلى واقع كل إنسان وموقعه في الحياة!..**

كم نحن بحاجة إلى أن نتقارب، وأن يعطف كبيرنا على الصغير، وغنينا على الفقيــر، حتى تتكون تلك اللحمة التي يريدها الإسلام لنا كمسلمين!..

مــا أحوجنا إلــى التخلــي عــن العصبيــات القبلية، والمذهبية، والنعرات القومية، ونعــود أُمة واحدة، يمثلها حديــث النبــي ﷺ: «**مثل المســلمين فــي توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**».

إن هذه القيمة تذكرنا بأنه لا فضل لعربي على عجمي إلَّا بالتقوى، ولا أبيض على أحمر وأسود إلَّا بالإيمان، وفي الحديــث: «**إن الله لا ينظــر إلــى صوركــم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وعلينا أن نتآزر، ونتآخى، ونتقارب، ويعين بعضنا بعضاً حتى نبلغ مراد الله تعالى في النهايات.








الذِّكْر

• **تعلِّمك مدرسةُ الحجِّ أعظم الطرق إلى الله تعالى، وأكثرها أثراً وجمالاً في حياتك وواقعك: ذكر الله تعالى..**

فهو أصل كل العبادات، والمقصد العظيم منها، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وإذا تأملت الحج وجدت أن هذه العبادة العظيمة كلها ذكر:

- تبدأ أول فصول هذا المعنى من **التلبية** - شعار الحج - التي لا يفتر منها لسان الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم العيد: (**لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**).

وفي الحديث: قال ﷺ: «**ما من ملبٍّ يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله، من حجر، أو شـــجر، أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا**».

- ومثل ذلك ما يصح معنًى: **إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ،**

وَرَمْيُ الْجِمَارِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللّٰهِ؛ فإن هذه المواطن إذا تأملت ما يجري فيها وجدته ذكراً لله تعالى أصلاً وقصداً.

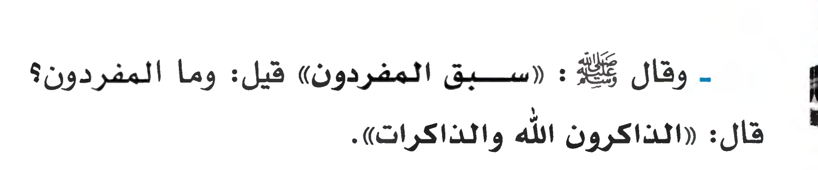
- وفي **فجر جمع**، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

- وفي **ليالي منى**، قال ﷺ: **«أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللّٰهِ»**.

- وعند **انقضاء المناسك**، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

• **كل هذه أدلة وشواهد على أن ذكر الله تعالى مقصد عظيم من مقاصد الحج، وقيمة كبرى من قيمه**، وحاجتنا إليه كحاجتنا إلى الطعام والشراب لا فرق.

- قال ﷺ: **«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْر لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْر لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللّٰهِ تَعَالَى»**.



- وقال ﷺ: «**ســـبق المفردون**» قيل: وما المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله والذاكرات**».

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل؛ فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟. اهـ.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فـــي الذكر مئة فائـــدة؛ منهـــا: أنه يرضي الرحمن، ويطرد الشيطان، ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور، ويقوِّي القلب والبدن، وينوِّر القلب والوجـــه، ويجلب الرزق، ويكســـو الذاكـــر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورث حياة القلب. اهـ.

- **إن من فقهك ووعيـــك: أن تعلـــم أن الذكر ليس المقصود به ما يردده الإنســـان بلسانه فحسب، وإنما ما تواطأ عليه لســـانه وقلبه**، ومن كمال علمك: أن تعلم ما تقول، ويجري هذا المعنى الكبيـــر في قلبك، وتجد فيه ما يروي مشاعرك، ويكتب حظه في واقعك بأكبر ما يكون، وإلَّا فسيظل محتاجاً لأرقى معاني الحياة بهجةً وأثراً.







الصَّبْر

• **تؤهِّلك مدرسةُ الحجِّ على الصبر، وتبني فيك روح التحدي، وتجعلك قادراً على مواجهة أحداث واقعك بكل جدارة:**

ترى الحاج وهو يحرم، ويلقي بثياب زينتـه، ويلبس إزاراً ورداءً، ويبقى شبه عارٍ، ورأسه مكشوف، ويتحمل حرارة الشمس وتقلبات الجو حتى تنتهي رحلة الحج، ويبلغ منها أمانيه.

يدفع مـالاً باهظاً مـن أجل هـذه الرحلـة المباركة، ويتحمل أعباء السفر كلها، ويترك بيته وأهله وولده، ويأتي على كل مشـاعر الحج مع ما فيها من تعب ومشقة ولأواء، وهو يستعذب كل خطوة، ويشعر بروح هذا المعنى الكبير في واقعه حتى العودة إلى دياره وربوعه.

ولو أنك حسبت فقط ساعات الانتظار التي يمكثها في الطريق، أو في الباص، أو أمام القطار، وهو في كل ذلك صابر محتسب، لا يكاد يتضجر من موقف، أو يشكو شيئاً.

ويعاني في مرات كثيرة من الزحام بصورة لم تسبق له، ويخالطها، ويجد عناءها، وفي النهاية يشعر بأنها جزء من الفرح الذي يخالط قلبه، والمشاعر التي تكتظ في واقعه، لأنه يرى أنها جزء من مسافات أحلامه، ولذلك لما سألت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ: هل على النساء جهاد؟ فقال ﷺ: «**عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة**».

- **لقد ذكَّر القرآن بالصبر في أكثر من تسعين موضعاً**، ثم قال تعالى في بيان ما للصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ولم يحدد له مقداراً، ولم يضع له كيفية، وإنما يكال له كيلاً كما يقول بعض السلف، نسأل الله تعالى من فضله وتوفيقه..

- **ومن فقه الإنسان ووعيه: أن يعتني بهذا الخلق، ويمد في أثره في حياته حتى يصبح سجية وعادة لصاحبه مع الأيام.**

نحتاج هذا الخلق في كل طاعة لله تعالى؛ فإن هذه الطاعات مكلفة ومجهدة، وتحتاج إلى التزام حتى يقوم ساقها في حياة صاحبها.

ونحتاجه في الالتزام بوردٍ ثابتٍ من الصلاة، والصيام، وتلاوة القرآن، والصدقة، والذكر؛ حتى تصبح لنا سجية مع الأيام.

ونحتاجه فـــي التخلّص من بعض العادات الســـلبية المزمنة التي تلازم الإنســـان، وما زالـــت تقف في مرات كثيرة أمام طموحاته.

ونحتاجه في بناء بعض العادات الجديدة التي تحتاج التزاماً وصبراً حتى تقــوى، وتصبح جزءاً مــن حياتنا مع الأيام.

- كم هي حـــالات الزواج التـــي فارقتها هـــذه القيمة فانتهت بالطـــلاق! أو البيوت التي ينتشـــر فيهـــا الخصام والشـــقاق والنزاع! أو الأُسر المتهاجرة بســـبب غياب هذه القيمة! أو الأهداف التي لم تأخذ حظها من الكمال بسبب ضياعها من واقعه!..

وهي دعوة لكل عائد من حجه أن يبدأ هذا المعنى في واقعه، ويخوض رحلته فـــي حياته حتى يبلـــغ منه أحلامه وأمانيه.





الفأل والأمـل

• **تعلِّمك مدرسةُ الحجِّ التفاؤل، وتفسح لك في ساحات الأمل، وتدعوك إلى أن ترى الغد في أبهج حالاته وأجمل أيامه:**

- **تطوف بالكعبة** فتتذكر شكوى صحابة رسول الله ﷺ، وقد عاشـوا البلاء، وذاقوا مـرارة الحياة، وقاسـوا مضَّ الأيـام.. ألا تدعـوا لنا يا رسـول الله! ألا تسـتنصر لنا! فيقول ﷺ : «**والله ليتمـنّ الله هذا الأمر، حتى يسـير الراكب من صنعـاء إلى حضرمـوت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

- **وتصعد الصفا** فتتذكّر أول حوار واجتماع دار عليها بين رسـول الله ﷺ وقريش، الاجتمـاع الـذي دعاهم فيه ﷺ للإسـلام، فابتدره فيه أبـو لهب وقـال: (تبّاً لـك، ألهذا جمعتنا؟!)، فانفضت قريش عن رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى في عقبه سورة المسد، ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا



هذا والإسلام يزيد ولا ينقص، ويكثر ولا يقل، ويتسع ولا يضيق.. وسيظل.

- تأخذ **جولة في ربا مكة ومشاعرها وساحاتها** فتتذكّر سلى الجزور وهو على ظهره ﷺ وهو ساجد، وكبار قريش يتضاحكون ويستهزئون.. وتتذكّر حالات السخرية والاستهزاء التي كانت تلاحقه في كل مكان.. ويطوف في ذاكرتك تلك السنين الثلاث العجاف التي قضاها ﷺ في الحصار في شعب أبي طالب حتى أكل هو ومن معه ورق الشجر!.. ثم هذا النصر الكبير في النهايات، ومشاهد العز التي تزدلف في ربوع مكة وحول الحرم، وفي ساحات المشاعر؛ في كل عام تزيد حتى تتوقف مشاعر مكة عن استيعابها.

- ماذا لو بعث الله تعالى أبا لهب وأقامه على ساحات الصفا التي جادل عليها بالأمس، أو أوقفه على حافة أجياد ليلقي ببصره لتلك الجموع التي اهتدت بتلك الدعوة، وشربت من معين الحق، وعادت بهذا الدين إلى الحياة؟!..

تخيّل لو اصطفَّ أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط على هذه المشاهد المبهجة، ورأوا هذه الأجيال وهي تعبُّ من هذا الدين، وتزدلف أرواحها إلى مشاهد الحياة في ربوع هذا البيت كل يوم، وصدق الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ



﴿... ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

• **يذكِّرنا الحج بالحياة، ويفتح نفوسنا على أبواب الأمل المشرعة، ويدعونا للفرح بقادم الأيام، والشعور بالعز والنصر في المستقبل القريب،** ويقول لنا: إن الدينَ دينُ الله تعالى، والبيت بيته، ووعده نافذٌ وإن طال زمان الانتظار، وهذه الأجيال التي تولد كل يوم على الفطرة، وتتحمل تبعات الطريق إلى هذه المشاعر، وتجد فيه أرواحها ومشاعرها، ستأتي بأحلام الحياة ولو بعد حين.







الفهــرس

• المقـدمة ٥
١ ـ إجلال شعائر الله تعالى ٧
٢ ـ التوحيد ١٠
٣ ـ تعظيم النصِّ الشرعي ١٣
٤ ـ الانضباط ١٦
٥ ـ الهدف ١٩
٦ ـ الوقت ٢٢
٧ ـ النظام ٢٥
٨ ـ العزَّة ٢٨
٩ ـ الدعاء ٣١
١٠ ـ البراءة من المشركين ٣٤
١١ ـ المسؤولية الفردية ٣٧
١٢ ـ التيسير ٤٠

١٣ ـ إجلال البيت وتعظيمه ٤٣
١٤ ـ الأسئلة الناهضة ٤٦
١٥ ـ ستر المرأة ٤٩
١٦ ـ المرأة الواعية ٥٢
١٧ ـ القدوة ٥٥
١٨ ـ الوسطية ٥٨
١٩ ـ الوحدة ٦٠
٢٠ ـ الحافز ٦٣
٢١ ـ البذل والعطاء ٦٥
٢٢ ـ المساواة ٦٧
٢٣ ـ الذِّكْر ٧٠
٢٤ ـ الصَّبْر ٧٣
٢٥ ـ الفأل والأمل ٧٦
• الفهرس ٧٩



